

الدَّرَارِي المُضِيَّة

فِي شَرْحِ

لَامِيَّةِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ

تأليف

أبي عبد الرَّحْمَن عَمْرو بن مُحَمَّد الفَضْلِي البَعْدَاني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

دار الحديث السلفية بإب

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العَالمين، حَمْدَا يليقُ بِجَلَالِ رَبِّنَا وعَظِيْمِ سُلْطَانِهِ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله الوَاحِدُ الأَحَدُ، الذي لم يَتَّخِذْ صَاحِبَةً ولا وَلَدَا، وأشهدُ أن محمدا عَبْدُهُ ورَسُوْلُهُ، وصَفِيُّهُ مِن خَلْقِهِ وخَلِيْلُهُ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدين أما بعد

فهذا شَرْحٌ مُخْتَصَرٌ لِلَامِيَّةِ شَيْخِ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حَرِصْتُ على إيضاحِهِ وتَقْرِيْبِهِ؛ ليكونَ بَاكُوْرَةً لطُلَّابِ العِلمِ في دِرَاسَةِ المعتقدِ الصَّحِيحِ، وأَخْلَيْتُهُ مِن ذِكْرِ الشُّبُهَاتِ والجَوَابِ عنها؛ إذ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَال، ومِن قَوَاعِدِ الطَّلَب: تَأْسِيْسُ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ قَبْلَ التَّعَرُّضِ لكَشْفِ الشُّبُهَاتِ؛ فإنَّ القُلُوبَ ضَعِيفَةٌ والشُّبَهَ خَطَّافَةٌ، وكَمْ مِن شُبْهَةٍ لَرُبَّمَا وَقَعَت في قَلْبِ الطَّالِبِ، ثم صَعُبَ إخْرَاجُهَا مِن قَلْبِهِ؛ لِعَدَمِ رُسُوخِ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ في قَلْبِهِ، وحَرِصْتُ على التَّوَسُّطِ في ذكرِ الأدلةِ من الكتابِ والسنةِ؛ إذ أَنَّهُ كتابٌ مُخْتَصَرٌ، وتَرَكْتُ التَّوَسُّعَ في ذكرِ المَسَائِلِ المُتَعَلِّقَةِ بِمَسَائِلِ العقيدةِ المذكورةِ طَلَبًا للاخْتِصَارِ والله المستعان.

كَتَبَهُ: أبو عبد الرحمن عَمْرو بنُ مُحَمَّدٍ الفَضْلِي غَفَرَ الله له.

مقدمات متعلِّقةٌ باللاميةِ ومؤلِفِهَا:

الأولى: ترجمةُ شيخِ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هو أحمدُ بنُ عبدِ الحليمِ بنِ عبدِ السلامِ بنِ تَيْمِيَّة شيخُ الإسلام وعلمُ الأعلام بحرُ العلوم.

ولد في (٦٦١) وتوفي (٧٢٨) وترجمتُهُ عجيبةٌ فإنَّهُ كان آيةً من آيات الله في العلم والعمل والصبر وسائر خصال الخير حتى عرف بشيخ الإسلام فرحمه الله رحمة واسعة.

الثانية: هل صحت اللامية لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

الجواب: لم تثبت اللاميةُ لشيخِ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطريقٍ صحيحٍ، ولكنَّهَا اشتهرت عنه في العُصُورِ المتأخرةِ، وقد وُجِدَت ضِمْنَ مخطوطاتٍ فيها كُتُبٌ لشيخِ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قبلها رسائلُ له، وبعدها رسائلُ له، والأمرُ واسعٌ في ذلك إن شاء الله، فإنَّ الذي فيها من المعتقدِ هو ما يُقَرِّرُهُ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وممّا يُشَكِّكُ في نِسْبَتِهَا عَدَمُ ذِكرِ** تلاميذِهِ لهذه المنظومَةِ مع أهميَّتِهَا، وأيضا قد ذكرَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيتا من أبياتها فقال كما في مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٧): وَقَدْ أَنْشَدَ فِيهِمْ الْمُنْشِدُ:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ ... فَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ.ا.هـ

ويَدُلُّ على ذلك أيضا ما جاءَ في بعضِ النُّسَخِ من اللامية أنَّ القُرْآنَ قَدِيْمٌ وقد أَنْكَرَ هذا اللفظَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عَدَدٍ من كُتُبِهِ والله أعلم.

وقد جزم العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدم صحتها في المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ص(٧٢) وقال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الظاهر أنها لا تصح أصلا عن الشيخ. شرح السفارينية ص(٤٢٧).

الثالثة: مباحثُ القَصِيْدَةِ إجمالا.

القصيدةُ **سِتَّةَ عَشَرَ بيتا** ذكرَ فيها شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **اثني عشر أصلا من أصول أهل السنة والجماعة وهي:**

الأول: الوَاجِبُ نَحوَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

الثاني: الوَاجِبُ نَحْوَ آلِ بيتِ النبيِ ﷺ.

الثالث: عقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ في القرآن.

الرابع: وجوبُ تعظيمِ الكتابِ والسنةِ والاحتجاج بهما وتحريمُ التَّعَرُّضِ لهما بتحريفٍ أو تأويلٍ فَاسِدٍ.

الخامس: عقيدةُ أهلِ السنةِ في صِفَاتِ الله جَلَّ وعَلَا.

السادس: إثباتُ رؤيةِ المؤمنينَ لِرَبِّهِم جَلَّ وعَلَا في الآخرة.

السابع: إثباتُ صِفَةِ النُّزُولِ للهِ جل وعلا حَقِيْقَةً.

الثامن: إثباتُ المِيْزَان. **التاسع**: إثباتُ الحَوْض. **العاشر**: إثباتُ الصِّرَاط.

الحادي عشر: الإيمانُ بالجَنَّةِ والنَّارِ.

الثاني عشر: إثباتُ عَذَابِ القَبْرِ ونَعِيْمِهِ وفِتْنَتِهِ.

وأشارَ إلى مسألتين عظيمتين:

الأولى: مسألةُ التَّوَسُّل. **والثانية**: أَفْعَالُ اللهِ كُلُّهَا لِحِكْمَ عَظِيْمَة.

ولَعَلَّهُ حَرِصَ في المنظومةِ أن يَذْكُرَ عددا من المسائل التي اشتهر النزاع فيها مع أهل البدع، فلهذا لم تَكُن مُرَتبةً على أُصُولِ الإيمان الستة، ولم يذكر فيها مباحثَ الإيمانِ بالملائكة والرُّسُلِ والقَدَرِ والكُتُبِ عدا القرآن، وذكر ما يتعلق بصفات الله إجمالا ثم ذكر صفة الكلام والنزول وذكر رؤية المؤمنين لله، وعددا من مباحث اليوم الآخر.

نص منظومة شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١. يا سَائِلِي عن مَذْهَبِي وَعَقِيْدَتِي ... رُزِقَ الهُدَى مَن لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

٢. اسْمَعْ كَـلَامَ مُحَقِّقٍ في قَـوْلِهِ ... لا يَنْثَنِـــي عَنْهُ ولا يَتَبَـــدَّلُ

٣. حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبُ ... وَمَـوَدَّةُ القُـرْبَى بِهَا أَتَـوَسَّلُ

٤. ولِكُلِّـهِـمْ قَـدْرٌ عَلَا وفَضَائِلُ[1] ... لَكِنَّمَا الصِّـدِّيْقُ مِنْهُمْ أَفْـضَلُ

٥. وأَقُوْلُ فِي القُرْآنِ ما جَاءَتْ بِهِ ... آيَـاتُهُ فَهُو الكَـــرِيْمُ[2] المُـنْـزَلُ

٦. وأَقُولُ قَـالَ اللهُ جَـلَّ جَـلَالُهُ ... والمُصْطَفَى[3] الهَادِي ولَا أَتَأَوَّلُ

٧. وجَمِيْعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِـرُّهَا ... حَـقًّا كَمَا نَـقَـلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

٨. وأَرُدُّ عُـهْـدَتَـهَـا إلى نُــقَّالِهَا ... وأَصُوْنُــهَـا عَن كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

٩. قُبْحاً لِمَن نَبَذَ القُــرَانَ وَرَاءَهُ ... وإِذا اسْتَدَلَّ يَقُوْلُ قَالَ الأَخْطَلُ

١٠. والمُؤْمِنُونَ يَرَونَ حَقًّا رَبَّهُمْ ... وإلى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَـيْـفٍ يَنْـزِلُ

١١. وأُقِرُّ بِالمِيْزَانِ والحَوْضِ الَّذِي ... أَرْجُـــوْ بَأَنِّي مِــنْـهُ رَيًّا أَنْــهَلُ

---

(١) في نسخة: (ولكلهم قَدْرٌ وفَضْلٌ سَاطِعُ).

(٢) في نسخة: (القديم)، وفي نسخة: (العظيم).

(٣) في نسخة: (للمصطفى).

١٢. وكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ   فَمُـوَحِّدٌ[١] نَـاجٍ وَآخَـرُ مُهْمَلُ[٢]

١٣. والنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ   وكَذَا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

١٤. ولِكُـلِّ حَـيٍّ عَـاقِلٍ في قَـبْرِهِ   عَـمَـلٌ يُـقَارِنُهُ هُـنَاكَ ويُسْأَل

١٥. هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ ومَالِكٍ   وَأَبِي حَـنِيـفَةَ ثُمَّ أَحْـمَدَ يُـنْقَلُ

١٦. فإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيْلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ   وإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ.

---

(١) في نسخة: (فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ).

(٢) في نسخة: (وآخَرُ يُهْمَلُ).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا سَائِلِي عن مَذْهَبِي وَعَقِيْدَتِي رُزِقَ الهُدَى مَن لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

الشرح: ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة هذه المنظومة، أنها كانت جوابا عن سائل سأله عن اعتقاده، فجعلَ الله سؤالَهُ مِفْتاحَ خير، **قَالَ ابْنُ شِهَابٍ الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «الْعِلْمُ خَزَائِنُ وَمَفَاتِيحُهَا السُّؤَالُ». **وقال الخليلُ بنُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «الْعُلُومُ أَقْفَالٌ وَالسُّؤَالَاتُ مَفَاتِيحُهَا» وكم من الكتب كان سبب تأليفها سؤال سائل، فينفع الله بها المسلمين، فطالب العلم يحرص على النباهة، وتدوين الفوائد، وسؤال العالم والمدرس عما أشكل عليه، حتى ينتفع وينفع غيره.

والعقيدة: هي ما استقر في القَلْبِ من الاعتقادات.

وقد تكون حقا، وقد تكون باطلةً، فعقيدةُ أهل السنة حقٌّ، وعقيدةُ الرافضة والصوفية والجهمية باطلة.

والمذهَبُ–المرادُ به هُنَا–: ما يذهب إليه في اعتقاده.

أي: ما هو المعتقد الذي تتعبد لله به.

وقولُهُ: رُزِقَ الهُدَى من للهداية يسأل.

أي: أنَّ من طلبَ الهدايةَ وبحثَ عنها رزقَهُ الله الهِدَاية، قال الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] وقال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥ - ١٠] وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على أن الجزاء من جنس العمل، وفي قصص الصحابة ومن بعدهم عبرة وعظة في ذلك، فسلمانُ الفارسي ﷺ كان في فارسٍ على دينِ المَجُوسِ، ثم انتقلَ إلى النَّصْرَانيَّةِ، فسافرَ إلى بُلدانٍ متعددةٍ، حرصا على الحصولِ على الدِّيْنِ الحق، وتنقلَ من رَاهِبٍ إلى آخَر، حتى أخبرَهُ آخِرُهُم قبلَ مَوْتِهِ، أنَّه قد أَظَلَّهُ زمانُ نَبِيٍّ مبعوثٍ بدينِ إبراهيمَ يخرجُ بأرضِ العرب، ثم سافرَ سلمان إلى بلادِ العربِ يبحثُ عن هذا النبي إلى آخر قِصَّتِهِ العَجِيْبَةِ، وما فيها من العِبَر، وهي في مسند أحمد (٢٣٧٣٧) بإسناد حسن، وهي في الصحيح المسند للعلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والمقصودُ أنَّ مَن سألَ الله الهدايةَ وبذلَ الأسبابَ هداهُ الله سبحانه.

والرِّزقُ نوعان:

الأول: **رزقٌ عامٌ** وهو رزقُ الطَّعَامِ والشَّرَابِ ونحو ذلك وهذا الرزقُ عامٌ لجميعِ الخلائقِ حتى الكفار.

والثاني: **رزقٌ خاصٌّ** وهو الرزقُ الحلالُ ورزقُ العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ والهدايةِ.

وينبغي للعبدِ إذا دعا الله بالرِّزْقِ أن يقصدَ الرزقَ الخاص.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ في قَوْلِهِ　　　لا يَنْثَنِي عَنْهُ ولا يَتبَدَّلُ

الشرح: هذا ثناءٌ من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما سيذكرهُ من المعتقد في هذه الرسالة، وهو أنَّهُ لم يأخُذْهُ بالتقليدِ أو عن الآباء، وإنما أخذه عن أدلةِ الكتابِ والسنةِ، فلهذا لا ينثني عنه، أي: يميل. ولا يتبدل به معتقدا آخر.

وهذا شأنُ أهل الحق فإنَّهُم يتمسكون بما عرفُوهُ من الحق، ولا يميلون عنه أبدا مهما حصل لهم مِن البلاء والشدة، ففي صحيح البخاري (٣٦١٢) عن خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً

لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه».

وأما مَن خالفَ الحَقَّ بعد معرفتِهِ فقد وقعَ في الضلالِ والزَيْغِ، قال الله جل وعلا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال أبو بكر ﷺ: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغ. رواه البخاري (٣٠٩٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبُ وَمَـوَدَّةُ القُـرْبَى بِهَا أَتَوَسَّـلُ

ولِكُـلِّـهِمْ قَـدْرٌ عَـلَا وفَضَائِلُ[1] لَكِنَّمَا الصِّـدِّيْقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

الشرح: ذكر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذين البيتين أصلين عظيمين من أُصُولِ أهلِ السنة والجماعة، وهما **الأول**: الوَاجِبُ نَحْوَ الصَّحَابَةِ ﷺ. **والثاني**: الوَاجِبُ نَحوَ آلِ بيتِ النبيِ ﷺ. **وأشار إلى مسألةِ التَّوَسُّل**.

أما الأصلُ الأَوَّلُ وهو ما يتعلق بالواجب تُجاهَ الصَّحَابَةِ ﷺ فإنَّه يَنْتَظِمُ فيه عدةُ أُمُور:

الأول: وُجُوبُ محبةِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ جميعا واعتقادِ فضلِهِم وعدالتِهِم وأَنَّهُم خَيْرُ هذه الأمَّةِ بعدَ نَبِيِّهَا ﷺ.

قال الإمامُ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته المشهورة: وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ

(١) في نسخة: (ولكلهم قَدْرٌ وفَضْلٌ سَاطِع).

مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ".

وقال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة الواسطية: وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ الله عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى الله .ا.هـ

وذلك لأنَّ الله أثنى عليهم، ورضي عنهم، واختارهم لصحبة نبيه ﷺ، قال الله جل وعلا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] وقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال النَّبِيّ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه البخاري(٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود، ورواه مسلم (٢٥٣٤-) عن عائشة وأبي هريرة وعمران بن حصين ﷺ.

قال عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُود ﷺ: إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ. رواه أحمد (٣٦٠٠) بإسناد حسن.

الثاني: تحريمُ سَبِّ الصَّحَابَةِ وتَنَقُّصِهِم.

قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته العقيدة الواسطية: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا

اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».ا.هـ

الحديثُ رواهُ البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وللحديثِ قِصَّةٌ وهي (كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.. فذكره).

قال الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا كان مثلُ أُحُدٍ ذهبًا من المتأخرين من الصحابة المخاطبين بهذا الخطاب لا يبلغ مُدَّ أَحَدِ مُتَقَدِّمِيْهِم ولا نَصِيْفَه فما أَظُنُّهُ يبلغُ مِثلَ أُحُدٍ ذهبًا مِنَّا مقدار حَبَّةٍ من أحدهم ولا نصيفَهَا.ا.هـ إرشادُ السَّائِل إلى دلائل المسائل ضمن الفتح الرباني (٩/ ٤٥٠١).

وجبلُ أُحُدٍ جبلٌ عَظِيْمٌ، طُولُهُ يصلُ إلى سبعةِ آلاف متر، وعَرْضُهُ ألفين إلى ثلاثة آلاف متر، وارتفاعه أكثر من ألف متر، فتَخَيَّلْ لو كان هذا الجبلُ ذهبا، وتَصَدَّقَ به أحدُنا، فكم سيطعمُ به من المساكين والفقراء، ومع هذا لا يساوي صدقةَ المُدِّ، وهو مِلْءُ الكَفَّيْنِ، من أصحاب رسول الله ﷺ، بل ولا نصفَ المُدِّ، وما ذلك إلا لعظيم إيمانِهِم وصدقِهِم وتقواهُم ومحبَّتِهِم

لله وصُحْبَتِهِم ونُصْرَتِهِم لرسولِ الله ﷺ، فلا نامت أعين الجبناء الطاعنين في صحابة رسول الله ﷺ.

وروى ابنُ ماجه (١٦٢) وأحمد في فضائل الصحابة (١٥) وابن أبي عاصم (١٠٠٦) بإسناد صحيح عن ابْن عُمَرَ رضي الله عنه أنه كان يقول: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ».

وسَبُّ الصَّحَابَةِ لهُ أَحْوَالٌ: فتارةً يكونُ كُفْرًا، وتارةً يكونُ ضَلَالا ومَعْصِيَةً، وأُبَيِّنُ بعضَ تلكَ الأحوالِ باختصار فأقول:

الأول: سَبُّ جميعِ الصَّحَابَةِ أو أَكْثَرِهِم وتَكْفِيْرُهُم، فهذا كُفْرٌ بالإجماع بل من لم يُكَفِّرْ مِثْلَ هذا فَكُفْرُهُ مُتَعَيِّنٌ؛ لأنَّ هذا معلومٌ من الدِّيْنِ بالضَرُورَة، وفيهِ رَدٌّ للقُرْآنِ والسُّنَّةِ التي وصلتِ إلينا من طريقهم وفيها الثناء عليهم.

الثاني: سَبُّ أبي بكرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهذا كُفْرٌ على الصَّحِيْحِ؛ لكثرةِ فضائِلِهِمَا وانتشَارِهَا، وهما صَاحِبَا رسول الله ﷺ، ولأنَّ من تَجَرَّأَ عليهما فسيتجرأ على غيرهما من باب أولى.

الثالث: سَبُّ بعضِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وتَنَقُّصُهُم، كمُعَاوِيَةَ بنِ أبي سُفْيَان وعبدِ الله بنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهذا ضلالٌ بعيدٌ، وكبيرةٌ من الكبائر.

وما أحسنَ قولَ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ «أَوْثَقُ عَمَلِي فِي نَفْسِي حُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ» أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٣٨)

وروى اللالكائي(٢٣٢٥) عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَمَا يُعَلِّمُونَ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.

ونحنُ في هذا العصر أحوجُ ما يكون إلى العناية بهذا الأمر العظيم لا سيما مع انتشار الطعن في الصحابة رضي الله عنهم.

الأمرُ الثالثُ مما يتعلقُ بهذا الأصل: وُجُوبُ الكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بينَ الصحابة رضي الله عنهم.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة الواسطية: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.ا.هـ

وقال الإمامُ أبو عبد الله أحمدُ بنُ محمد بنِ حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن السُّنَّةِ الواضِحَةِ الثَّابتَةِ البَيِّنَةِ المعْرُوفَةِ ذِكْرُ محَاسِنِ أصحابِ رسول الله ﷺ أجمعين

والكَفِّ عن ذكرِ ما شَجَرَ بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحداً منهم أو تنقصه أو طعن عليهم، أو عرّض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر .. وعثمان .. وعلي ..وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع.ا.هـ طبقات الحنابلة (١/ ٣٠)

وقَالَ الإمام أَبُو عُثَمَانَ الصَّابُوْنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه عَقِيْدَةِ السَّلَفِ وأصْحَابِ الحَدِيْثِ: «ويَرَوْنَ الكَفَّ عمَّا شَجرَ بَيْنَ أصْحَابِ رَسُوْلِ الله ﷺ، وتَطْهِيْرَ الألْسِنَةِ عَنْ ذِكْرِ مَا يَتَضَمَّنُ عَيْبًا لَهُم ونَقْصًا فِيْهِم، ويَرَوْنَ التَّرَحُّمَ على جَمِيْعِهِم، والمُوَالاةَ لِكَافَّتِهِم».

وسئل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القتالِ الذي حصلَ بين الصَّحَابَةِ فقال: تلكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ الله يدي منها أفلا أُطَهِّرُ منها لِسَانِي، مَثَلُ أصحابِ

رسولِ الله ﷺ مثل العُيُون، ودَوَاءُ العُيُون تركُ مَسِّهَا". نقلا عن عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢/ ٧٣٢) وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٣٩٤).

الرابع: الشَّهَادَةُ للصَّحَابَةِ إجمالا بالجنةِ والرِّضْوَان، والشَّهَادَةُ لمن شَهِدَ له النبي ﷺ بالجنة تفصيلا.

أما الشهادة إجمالا فلأدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقوله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠] وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وغير ذلك من الأدلة المتعددة.

وأما الشهادة تفصيلا فنشهد لمن شهد له الرسول ﷺ بالجنة فمنهم العشرة المبشرون بالجنة سموا بذلك لكونهم جمعوا في حديث واحد وهو ما رواه الترمذي في سننه (٣٧٤٨) والنسائي في الكبرى (٨١٣٩) وأحمد في فضائل الصحابة (٨٥) عن سَعِيد بْن زَيْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:

«عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ». قَالَ الراوي: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ العَاشِرِ، فَقَالَ القَوْمُ: نَنْشُدُكَ الله يَا أَبَا الأَعْوَرِ مَنِ العَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِالله، أَبُو الأَعْوَرِ فِي الجَنَّة. وهو حديث صحيح له طرقٌ كثيرةٌ وفي كثيرٍ من طُرُقِهِ لم يُذْكَر «أبو عبيدة» وذُكِرَ بَدَلا عنه رسولُ الله ﷺ. وقد جمعَ العشرةَ بعضُ الشعراء في بيتين فقال:

لِلْمُصْطَفَى خَيْرُ صَحْبٍ نَصَّ أَنَّهُمُ ... فِي جَنَّةِ الخُلْدِ نَصًّا زَادَهُمْ شَرَفَا

هُمْ طَلْحَةٌ وابنُ عَوْفٍ والزُبَيْرُ مَعَ ... أَبِي عُبَيْدَةَ والسَّعْدَيْنِ والخُلَفَاء.

ومن شَهِدَ لهم النبيُّ ﷺ بالجَنَّةِ: زوجاتُ النبي ﷺ والحسنُ والحسينُ وبلالُ بنُ رَبَاح وعُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَن وعبدُ الله بنُ سَلَام وأمُّ سُلَيم وثابتُ بنُ قَيْس وغيرهم كثير وقد ذكر العلامة عبدُ العزيز السَّلْمَان في شرحه للواسطية المسمى "الكَوَاشِفُ الجَلِيَّة" أكثرَ من أربعين ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنَّة وهم أكثرُ من ذلك.

الخامس: الصَّحَابَةُ يتفاضَلُون فأفضَلُهم أبو بكرٍ ثم عمرُ ثم عثمانُ ثم عليٌّ، وهم الخلفاءُ الراشدونَ المهديونَ، ثم بقيةُ العَشَرَةِ، ثم أهلُ بَدْرٍ، ثم أهلُ أُحُدٍ عندَ أكثرِ أهل العلم، ثم أهلُ بيعةِ الرضوان، والأدلةُ على فضائلهم

كثيرة، وقد ألفَ عددٌ من أهل العلم في فضائل الصحابة لكثرتها، ومنها فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل وللنسائي وللدارقطني والصحيح المسند من فضائل الصحابة لبعض المعاصرين.

وأفضلُ الصحابيات خديجةُ وعائشةُ وفاطمةُ رضي الله عنهن بالإجماع، وفي تفضيل بعضِهِنَّ على بَعْضٍ خِلَاف.

السادس: في هذا الأصلِ الرَدُّ على مَن غَلَا وجَاوَزَ في أصحابِ رسول الله ﷺ أو تَنَقَّصَهُم.

وذلك كما يغلو الرافضةُ في علي وآل البيت، ويتنقصون ويكفرون الصحابة ﷺ، وكما يغلو الصوفيةُ في جماعةٍ من الصحابة ﷺ، وكما يفعلُ الخوارجُ والنَّوَاصِبُ الذين كفروا وتنقصوا عددا من الصحابة ﷺ.

وأما الأصلُ الثاني الذي ذكرهُ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو الواجبُ تُجَاهَ آل بيتِ رسولِ الله ﷺ وينتظم تحت هذا الأصل أمور:

الأول: وجوبُ محبةِ الصَّالحينَ من آل بيتِ النَّبيِّ ﷺ لصلاحهم ولنسبهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة الواسطية: وَيُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ الله ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ

خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي»[1].وَقَالَ ﷺ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لله وَلِقَرَابَتِي»[2]. وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الله اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ »[3].ا.هـ

ومن الأدلةِ على فضلِهِم قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]

وفي صحيح مسلم (٢٤٢٤) عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: خرج النَّبِيُّ ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل مِن شَعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمَّ جاء

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم.

(٢) (حسن) أخرجه أحمد(١٧٧٧) والترمذي(٣٧٥٨) والنسائي في الكبرى(٨١٢٠) وغيرهم من حديث عبد المطلب بن ربيعة (والصواب في اسمه: المطلب) وإسناده ضعيف فيه يزيد بن أبي زياد الهاشمي ضعيف.

وله شاهد عند ابن ماجه(١٤٠) والحاكم(٦٩٦٠) عن العباس وفي إسناده أبو سبرة النخعي مجهول ومحمد بن كعب القرظي لم يسمع من العباس.

وله شاهد عند أحمد في فضائل الصحابة(١٧٥٦) عن أبي الضحى مسلم بن صبيح مرسلا وإسناده صحيح ولفظه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَنْ يَنَالُوا خَيْرًا حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لله، وَلِقَرَابَتِي» فالحديث حسن بمجموع طرقه.

(٣) رواه مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

الحُسين فدخل معه، ثمَّ جاءت فاطمةُ فأدخلَها، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وليس معنى هذا أنَّ آلَ بيته هؤلاء فقط، ولكنَّهُم من أَخَصِّ آل بيته، وإلا فزوجاتُهُ من آل بيته، كما هو ظاهر من سياق الآية المذكورة.

وأهلُ السنةِ هم أسعدُ الناسِ بوَصِيَّةِ رسولِ الله ﷺ بآل بيته حتى جعلوا محبةَ آل البيت من أُصُولِ أهل السنة وذكروها في عقائدهم، وأبعدُ الناسِ عنها هم مَن يَدَّعُونَ محبةَ آل البيت من الرافضة، **قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ** كما في **مجموع الفتاوى** (٤/ ٤١٩): وأبعدُ الناسِ عن هذه الوصيَّة الرافضةُ؛ فإنَّهم يُعادُون العبَّاس وذُريَّتَه، بل يُعادون جمهور أهل البيت ويُعينون الكفَّارَ عليهم.ا.هـ

وقد كان الصحابةُ رضي الله عنهم أشدَّ الناس عملا بذلك فقد روى البخاري في صحيحه (٣٧١٢) أنَّ أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال لعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والذي نفسي بيدِه لَقرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أنْ أَصِلَ من قرابَتِي .

وروى البخاريُّ في صحيحه أيضاً (٣٧١٣) عن ابن عمر ﵄، عن أبي بكر ﵁ قال: ارقُبُوا محمداً ﷺ في أهل بيته.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري: يخاطِبُ بذلك الناسَ ويوصيهم به، والمراقبةُ للشيء: المحافظةُ عليه، يقول: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم ولا تُسيئوا إليهم.ا.هـ

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب ﵁ كان يستسقي بالعباس ﵁ عَمِّ رسولِ الله ﷺ كما روى البخاري في صحيحه (١٠١٠) (٣٧١٠) عن أنس ﵁: أنَّ عمر بن الخطاب ﵁ كان إذا قُحِطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ﵁، فقال: اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا ﷺ فتسقينا، وإنَّا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقِنا، قال: فيُسقَوْن.

قال شيخنا الجليلُ مُحَدِّثُ المدينة النبوية عبدُ المحسن العَبَّاد البَدْر حفظه الله في رسالته المباركة النافعة "فضلُ أهل البيتِ وعُلُوُّ مكانَتِهِم عند أهل السنة والجماعة" : واختيارُ عمر ﵁ للعَبَّاسِ ﵁ للتوسُّل بدعائه إنَّما هو لقرابتِه مِن رسول الله ﷺ، ولهذا قال ﵁ في توسُّله: وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ

نبيِّنا. ولم يقل: بالعباس. ومن المعلوم أنَّ عليًّا ﷺ أفضلُ من العباس ﷺ، وهو من قرابة الرسول ﷺ، لكنَّ العباسَ أقربُ.. إلخ كلامه.

ومن تعظيم الصحابة لآل البيت ما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٣) في ترجمة العبَّاس ﷺ وهو: كَانَ العَبَّاسُ إِذَا مَرَّ بِعُمَرَ أَوْ بِعُثْمَانَ، وَهُمَا رَاكِبَانِ، نَزَلاَ حَتَّى يُجَاوِزَهُمَا إِجْلاَلاً لِعَمِّ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.ا.هـ

الثاني: تَحْرِيْمُ الغُلُوِّ فيهم أو التَّنَقُّصِ لهم كفِعْلِ الروافض والنواصب.

الروافضُ هم الذين يغلونَ في محبةِ آل بيت النبي ﷺ ويرفعونهم فوق قدرِهِم ولهم بوائقُ كثيرةٌ منها الطعنُ في أصحابِ رسول الله ﷺ وزوجاتِهِ وغير ذلك.

والنواصب هم من نصبوا العداء لعلي بن أبي طالب ﷺ وآل بيته وتنقصوهم وقد اندثر هذا المذهب كطائفة ولله الحمد.

وتحريمُ الغلوِّ فيهم أو تَنَقُّصِهِم هو الذي عليه أهلُ السنة فهم يُحِبُّوْنَهُم ويكرِمُونَهُم ويذكرونَ فضائِلَهُم ويذبونَ عنهم ويمنعونَ سَبَّهُم أو التَّنَقُّصَ لهم ويمنعونَ كذلك الغلوَّ فيهم والمجاوزة.

الثالث: من هم آل البيت؟

هم بنو هاشم اتفاقا، وبنو المطلب على الصحيح؛ لقوله ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ، وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ» أخرجه البخاري(٣٥٠٢) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه وأزواجه ﷺ من آل بيته.

وتنبه يا رعاكَ الله إلى أنَّ أهلَ البدع النواصبَ يتهمونَ أهلَ السنةِ بأنهم روافضُ؛ لحبهم لقرابة رسول الله ﷺ، وأهلَ البدع الروافضُ يتهمون أهلَ السنة بأنهم نواصبُ؛ لحبهم لصحابة رسول الله ﷺ، وأهلُ السنة بريئون من هذه التهم وهذه الألقاب، **والألقاب لا تغير من الحقائق شيئا**، فأهلُ السنة وفقهم الله للجمع بين محبة الصحابة وآل البيت بغير غلو ولا جفاء **قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين(٢/ ٨٧)**: قَدَّسَ اللهُ رُوحَ الشَّافِعِيِّ حَيْثُ يَقُولُ، وَقَدْ نُسِبَ إِلَى الرَّفْضِ:

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

وَرَضِيَ الله عَنْ شَيْخِنَا أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، حَيْثُ يَقُولُ:

إِنْ كَانَ نَصْبًا حُبُّ صَحْبِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي نَاصِبِي.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَـوَدَّةُ القُـرْبَى بِهَا أَتَـوَسَّلُ).

أشارَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مسألةٍ مهمةٍ، وهي **مسألةُ التَّوَسُّلِ**، وهي من المباحث التي أفردها شيخُ الإسلام برسالةٍ نافعةٍ وهي: "التوسل والوسيلة"، و**التَّوَسُّلُ** من المباحث التي تذكرُ في كتب التوحيد، ونشير إليها هنا باختصار فنقول:

التَّوَسُّلُ نوعان:

الأول: تَوَسُّلٌ مشروع.

والآخر: تَوَسُّلٌ ممنوع.

والتَّوَسُّلُ المشروعُ ثلاثة أنواع:

الأول: التَّوَسُّلُ بأسماء الله وصفاته.

فيقول العبد: يا غفور اغفر لي، ويا تواب تب علي، ويا رحمن يا رحيم ارحمني. ويقول: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.. ثم يطلب حاجته.

ويقول: اللهم أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وأَعُوذُ بِعِزَّتِكَ أَنْ تُضِلَّنِي.

ويقول: اللهمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي.

ونحو ذلك من الدعوات المباركات التي هي من أسباب إجابة الدعاء قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والثاني: التَوَسُّلُ بالأعمال الصالحة.

والمراد أعمالُهُ هو أما أعمالُ غيرِهِ فلا يجوزُ أن يتوسلَ بها كما سيأتي.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] وقال جل وعلا:﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤] وفي حديث أصحاب الغار الثلاثة المشهور أنهم توسلوا بأعمال صالحة، فتوسل

أحدهم ببره لوالديه، والآخر بعفته عن الحرام مع تمكنه منه، والثالث بأمانته، ففرج الله عنهم كربهم. والحديثُ رواه البخاري(٢٢٧٢) ومسلم (٢٧٤٣) عن ابن عمر ﵄.

الثالث: التَّوَسُّلُ بدعاءِ الرَّجُلِ الصالح.

فتطلبُ من رجلٍ صالحٍ أن يدعوَ الله لك، وقد كانَ الصحابةُ ﵃ يتوسلون بدعاءِ النبي ﷺ، وتوسلوا بعدهُ بدعاء بعضِ الصالحين، كتوسلِ عمرَ ﵁ بدعاءِ العباس ﵁ كما في البخاري عن أنس ﵁ وقد تقدم، وطلب عمر ﵁ الدعاء من أويس القرني، عملا بوصية رَسُول الله ﷺ حيثُ قال: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ» رواه مسلم (٢٥٤٢)، وروى الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تاريخه" (٦٥/ ١١٢) بسند صحيح عن التابعي الجليل سُلَيْمِ بنِ عَامِرٍ الخَبَائِرِيُّ: أن السماء قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان ﵁ وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال: أين يزيدُ بنُ الأسود الجُرَشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطى الناس، فأمره معاوية فصعد على المنبر، فقعد عند رجليه، فقال معاوية ﵁: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس أيديهم، فما كان

أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.

ولكن ينبغي عدمُ التَّوَسُّعِ في هذا الباب؛ لأنَّه يُؤَدِّي إلى تَعَلُّقِ القلوبِ بالأشخاص، وأنَّ هذا الرجلَ مستجابُ الدعاء، فيتركُ الناسُ الدعاءَ اتكالا على دعاءِ الصالحين، ولهذا قَرَّرَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن طلبَ الدعاءِ من الصالحين مكروهٌ أو خِلَافُ الأولى إلا إذا قصدَ طالبُ الدعاءِ نفعَ الداعي أيضا كما في مجموع الفتاوى (١/ ١٩٣).

وقال الحافظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحِكَمِ الجَدِيْرَةِ بالإِذَاعَةِ (ص: ٤٦):

وقد كان عُمَرُ ﷺ وغَيْرُهُ من الصَّحَابَةِ والتَّابِعِيْنَ ﷺ يَكْرَهُونَ أن يُطْلَبَ الدُّعَاءُ منهم، ويقولون: أأنبياء نحن؟.ا.هـ

وفي فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (٢٤/ ٢٦١):

متى يكونُ طلبُ الرُّقْيَةِ والدعاءِ ممدوحين مطلوبين؟

الجواب: طلبُ الدعاءِ وطلبُ الرقيةِ مباحان، وتركُهُمَا والاستغناءُ عن الناسِ وقيامُهُ بهما لنفسِهِ أحسن.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكانت الفتوى برئاسة الإمام ابن باز وعضوية العلامة عبد العزيز آل الشيخ والعلامة صالح الفوزان والعلامة عبد الله بن غديان والعلامة بكر أبو زيد رحم الله الأموات وحفظ الأحياء.

وقال الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأولى بالإنسان مطلقاً أن لا يطلب من أحد أن يدعو الله له، بل يدعو هو نفسه، يدعو الله تعالى مباشرة.ا.هـ فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٤/ ٢، بترقيم الشاملة آليا) وفيها فَصَّلَ الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ التوسل المشروع إلى سبعة أنواع فانظرها.

والتوسل الممنوع أنواع أيضا ومن أشهرها وأكثرها وقوعا:

التوسل بذوات الصالحين وجاههم وهو من البدع ووسائل الشرك.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأَقُوْلُ فِي القُرْآنِ ما جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُو الكَرِيْمُ[١] المُنْزَلُ

الشرح: ذكر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت أصلا عظيما من أصول أهل السنة وهو **الأصلُ الثالثُ في المنظومة وهو عقيدةُ أهلِ السنةِ في القُرْآن.**

وعقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في القُرْآنِ هي أَنَّهُ: كَلَامُ الله، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة الواسطية: وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالله وَكُتُبِهِ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الله، مُنَزَّلٌ ،غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.ا.هـ

وقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: أَدْرَكْتُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ دُونَهُمْ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: «اللهُ الْخَالِقُ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ الله، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ» أخرجهُ الدَّارميُّ في الرَّدِّ على الجهمية (ص: ١٨٩) واللَّالَكَائِيُّ في شرحِ أُصُولِ اعتقادِ أهلِ السنة (٢/ ٢٦٠) وابنُ بَطَّةَ في الإبانة الكبرى (٦/ ٧) وغيرهم وإسناده صحيح.

---

(١) في نسخة: (القديم)، وفي نسخة: (العظيم).

فقول السَّلَف: **(كلامُ الله)** أي: تَكَلَّمَ الله به حَقِيْقَةً بحَرْفٍ وصَوْتٍ، فهو كلامُ الله اللَّفظَ والمعنى، ومن الأدلةِ على ذلك قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦] وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾ [الفتح: ١٥] وقال جل وعلا: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقولهم: **(مُنَزَّل)** أدلةُ ذلك كثيرةٌ منها قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١، ٢] وقوله جل وعلا: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠] وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وقوله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقولُ السَّلَفِ: **(غَيْرُ مَخْلُوْقٍ)** يدل على ذلك أدلةٌ كثيرةٌ منها: جميعُ الأدلةِ التي تدلُّ على أنَّ القرآنَ كلامُ الله؛ لأنَّ كلامَ الله صفةٌ من صفاته، وصفاتُهُ غَيْرُ مخلوقة.

ومنها: قولُهُ تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرَّقَ الله بين خلقِهِ وأمرِهِ، فالخلقُ فِعْلُهُ، والأمرُ قَوْلُهُ، والقرآنُ من أمرِهِ سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

قال الإمامُ أبو محمد سفيانُ بن عُيَيْنَةَ الهِلاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما يَقولُ هذا الدُّوَيْبَّةُ؟ -يعني بشرًا المَرِيْسِيّ-.

قالوا: يا أبا محمَّدٍ، يزعُمُ أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ، فقالَ: كَذَبَ، قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ﴾ فالخَلْقُ خَلْقُ الله، والأمْرُ القرآنُ. أخرجه الآجري في الشريعة (١٧١) والخطيب في تأريخ بغداد.ت. بشار (١٠/ ١٢٥) وغيرهم وإسناده حسن.

ومنها: قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ١٠٩] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. فأخبر الله أن كلماته لا نهاية لها ولو أنَّ البحرَ كانَ مدادا والشجرَ أقلاما لفَنِيَت ولم تَنْفَدْ كَلماتُ الله.

وفي قَوْلِهِ تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] وقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] بيانُ أنَّ كُلَّ مخلوقٍ له قَدْرٌ ينتهي إليه فلو كانَ كلامُ اللهِ مخلوقا لكانَ له حَدٌّ ينتهي إليه.

قَالَ ابنُ أبي حَاتِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدثنَا أبي، قال: سَمِعتُ بعضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: قَوْلُ الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَكَانَ لَهُ قَدْرٌ وَكَانَتْ لَهُ نِهَايَةٌ وَلَنَفِدَ كَنَفَادِ الْمَخْلُوقِينَ. انظر: الفتح (٧٤٦٣)

قال العلامةُ عبدُ الرحمن بنُ سِعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ١٠٩] أي: قل لهم مخبرا عن عظمةِ الباري، وسَعَةِ صِفَاتِهِ، وأنها لا يحيطُ العِبَادُ بشيءٍ منها: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي: هذه الأبحرُ الموجودةُ في العالم ﴿مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ أي: وأشجارُ الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البُلْدان والبراري، والبحار، أقلامٌ، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ وتكَسَّرَت الأقلامُ ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ وهذا شيءٌ عظيمٌ، لا يحيطُ به أحدٌ. وفي الآيَةِ الأُخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ

وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] وهذا من بابِ تَقْرِيْبِ المعنى إلى الأذهان، لأنَّ هذه الأشياءَ مخلوقةٌ، وجميعُ المخلوقاتِ، مُنْقَضِيَةٌ مُنْتَهِيَةٌ، وأما كلامُ الله، فإنَّهُ من جُمْلَةِ صِفَاتِهِ، وصِفَاتُهُ غيرُ مَخْلُوقَةٍ، ولا لها حَدٌّ ولا مُنْتَهى.ا.هـ

وقولهم: (منهُ بَدَأَ) من الابتداء، أي: أنَّ اللهَ هو الذي تَكَلَّمَ به ابتداءً لم يبتدئ من غيره، والكلام إنما يضاف لمن قاله مبتدئا.

وقولهم: (وإليه يَعُوْدُ) أي: يرتفعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ، فَلَا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ كَلِمَةٌ، وَلَا فِي الْمَصَاحِفِ مِنْهُ حَرْفٌ، ولا يبقى في الأرض منه آية، وهذا المعنى قد ثبتت به الأدلة، وأجمعَ عليه أهل السنة، وفي سُنَنِ ابنِ مَاجَه(٤٠٤٩) من حديثِ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ» وإسناده صحيح وقد صححه الألباني والوادعي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

تنبيه: في بعض النسخ: (فهو القَدِيمُ المُنْزَلُ). وإطلاقُ القَدِيْمِ على القرآن يخالفُ قولَ أهلِ السُّنَّةِ، وقد أنكرهُ شيخُ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ، واللائقُ بعقيدة شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ تركُ هذه العِبَارَةِ لا سيما وقد انتقدها هو بنفسه على أهل البدع في عدد من المواضع.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأَقُولُ قَالَ الله جَلَّ جَلَالُهُ وَالمُصْطَفَى[1] الهَادِي ولَا أَتَأَوَّلُ

الشرح: ذكر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت أصلا عظيما من أصول أهل السنة وهو **الأصل الرابع في المنظومة وهو:**

وجوبُ تعظِيْمِ الكتابِ والسُّنَّةِ والاحتجاجِ بِهِمَا وتحريمُ التَّعَرُّضِ لهما بتَحْرِيْفٍ أو تَأْوِيْلٍ فَاسِدٍ.

قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النِّسَاءِ ٦٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ

---

(١) في نسخة: (للمصطفى).

وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّسَاءِ: ٥٩] .

وقال سبحانهُ في وَصْفِ اليَهُودِ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

ومرادُ شيخِ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّأْوِيلِ هُنَا التَّحْرِيفِ؛ لأنَّ أهلَ البدع يسمونَ تحريفَهُم تأويلا ليقبَلَهُ النَّاسُ، وإلا فإنَّ التَّأوِيْلَ يُرَادُ به في الكتابِ والسُّنَّةِ التَفْسِيْرُ، والحقيقةُ التي يَؤُوْلُ إليها الكَلَامُ ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ في دعائه لابن عباس رضي الله عنه «اللهمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ» أخرجه أحمد (٢٣٩٧) وغيره بإسناد صحيح. وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: هذه حقيقة الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام في قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وجَمِيْعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا	حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ
وأَرُدُّ عُهْدَتَـهَـا إلى نُقَّالِـهَـا	وأَصُونُهَا عَن كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

الشرح: ذكرَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذين البيتين أَصْلا عَظِيما من أُصُولِ أهلِ السنة، وهو **الأصلُ الخامسُ في المنظومة، وهو: عَقِيْدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي صِفَاتِ الله جَلَّ وعَلَا**. وفيه مَسَائِل:

الأولى: وجوبُ إثباتِ جميعِ الصفاتِ الواردةِ في الكتابِ والسُّنَّةِ.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة الواسطية: وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ : الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.ا.هـ

ووَجَبَ إثباتُ الصِّفَاتِ للهِ جَلَّ وعَلَا حَقِيْقَةً لِأُمُورٍ:

الأَوَّلُ: أنَّ الله سبحانَهُ أثبتها لنفْسِهِ في كتابِهِ، والله أعلمُ بما يَسْتَحِقُّهُ من صفاتِ الكَمَالِ، ونُعُوتِ الجَلَالِ والجَمَالِ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

والثاني: أنَّ رسولَ الله ﷺ أثبتها لِرَبِّهِ، وهو أعلمُ الخَلْقِ بالله، وأَفْصَحُهُم بَيَانًا، وأَنْصَحُهُم للخَلْقِ.

والثالث: أنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ ومَن بعدَهُم من السَّلَفِ مُجْمِعُونَ على إثباتِ الصفاتِ لله حَقِيْقَةً.

والرابع: أنَّ نَفْيَ الصِّفَاتِ قَوْلٌ حَادِثٌ حدثَ فِي أَوَائِلِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ وكان أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ ؛ فَضَحَّى بِهِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الله الْقَسْرِيُّ بواسط يَوْمَ النَّحْرِ. وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا تَقَبَّلَ الله ضَحَايَاكُمْ فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ إنَّهُ زَعَمَ أَنَّ الله لَمْ يَتَّخِذْ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا تَعَالَى الله عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ عُلُوًّا كَبِيرًا. ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ. مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٩)

وقال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصفدية (٢/ ٢٦٣): وكانَ الجعدُ هذا أَوَّلَ مَن ظهرَ عنه التعطيلُ بإنكارِ صفاتِ الله تعالى وبإنكارِ مَحَبَّتِهِ وتَكْلِيْمِهِ.ا.هـ

المسألةُ الثانية: تحريمُ التَّعَرُّضِ للصفاتِ بالتَّحْرِيْفِ أو التَّعْطِيْلِ أو التَّكْيِيْفِ أو التَّمْثِيْلِ.

وذلك؛ لأنَّ هذه المحاذيرُ تُنَافِي إثباتَ الصفاتِ لله جل وعلا حقيقةً وأُبَيِّنُ هذه المحاذيرَ باختصار:

المحذورُ الأولُ: التَّحْرِيْفُ وهو تغييرُ لَفْظِ الأسماءِ والصفاتِ أو مَعْنَاهَا.

والتَّحْرِيْفُ نوعان:

الأولُ: تَحْرِيْفٌ لَفْظِيٌ كتحريفهم قولَهُ تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ فَيَنْصِبُونَ لفظ الجلالة، لِيَكُونَ مُوسَى هُوَ المُتَكَلِّمَ لَا الله!

والآخرُ: تَحْرِيْفُ معنوي كقولهم في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾إنَّ اليدَ النعمةُ أو القوةُ. ومثلُهُ قولُهُم في الوَجْهِ إرادةُ الثَّوَابِ وفي الغَضَبِ إرادةُ الانتقام. انظر: مختصر الصواعق (ص٣٨٧) التنبيهات السنية (ص٢٦).

المحذورُ الثاني: التَّعْطِيلُ وهو إنكارُ ما يَجِبُ لله من الأسماءِ والصفاتِ أو بَعْضِهَا.

والتَّعْطِيْلُ نوعان:

الأولُ: تعطيلٌ كُلِّيٌّ وهو إنكارُ أسماءِ الله وصفاتِهِ.

مثاله: تعطيلُ الجهميةِ الذين يَنْفُوْنَ الأسماءَ والصِّفَاتِ.

والآخرُ: تعطيلٌ جُزْئِيٌّ وهو إنكارُ الأسماءِ أو الصفاتِ أو بَعْضِهَا.

مثاله: تعطيلُ المعتزلةِ الذين أثبتوا الأسماءَ ونَفَوا الصفاتِ، وتعطيل الأشاعرةِ الذين أثبتوا الأسماءَ وسَبْعَ صِفَاتٍ ونَفَوا غيرها.

انظر: تلخيص الحموية ص(١٩-).

والفرق بين التحريف والتعطيل أنَّ التعطيلَ نَفْيٌ للمعنى الحَقِّ الوارِدِ في الكتابِ والسنةِ والتحريفَ نفيٌ للمعنى الحَقِّ مع إثباتِ معنى باطلٍ. فقولُهُ تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] المعطلُ يقول: ليس لله يدٌ، والمُحَرِّفُ يقولُ: ليس لله يدٌ والمرادُ باليَدِ هُنَا النِّعْمَةُ أو القُوَّةُ.

انظر: شرح الواسطية للعثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(٩٢).

المحذور الثالث: التكييف وهو اعتقادُ صفاتِ الله على كيفيةٍ مُعَيَّنَةٍ سَوَاء كان لها مثلٌ أو لا.

كأن يقولَ: يدُ الله كيَدِي أو يَدُ الله على كيفية كذا وكذا مما ليس له مثيلٌ في الوُجُود.

المحذور الرابع: التمثيل وهو اعتقادُ أنَّ صفاتِ الله مثلُ صِفَاتِ المخلوقين.

والتمثيل نوعان:

الأول: تمثيلُ الخالقِ بالمخلوق.

كأن يقول: يدُ الله كَيَدِي، وسمعُ الله كسَمْعِي.

والآخر: تمثيلُ المخلوقِ بالخالق.

كتشبيهِ النَّصَارى عيسى عليه السلام بالله سبحانه، وكما يصنعُ غُلَاةُ الصوفيةِ والشيعةِ من إنزالِ الأولياءِ منزلةَ رَبِّ العالمين سبحانه، فيعتقدون فيهم كشفَ الكُرُوبِ، ومغفرةَ الذُنُوبِ، وسَتْرَ العُيُوبِ، وإنزالَ الأمطارِ، وإنباتَ الأشجارِ، والإنقاذَ من النَّارِ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

والفرقُ بين التمثيل والتكييف أنَّ الممثلَ ذكرَ للصِّفَةِ مُمَاثِلًا في الوجودِ، وأمَّا المُكَيِّفُ فقد ذكرَ للصِّفَةِ كيفيةً قد يكونُ لها مُمَاثِلٌ، وقد لا يكونُ لها مماثِلٌ في الوُجُودِ وإنَّما ذكرَهَا من نَسْجِ خَيَالِهِ.

المسألة الثالثة: أسماءُ الله وصِفَاتُهُ تَوْقِيْفِيَّةٌ لا مَجَالَ للعقلِ فيها فلا مدخلَ للعقلِ في إثباتها أو نَفْيِهَا.

وذلك؛ لأنَّ أسماءَ الله وصفاتِهِ من الغَيْبِ الذي لا يمكنُ للعَقْلِ أن يدرِكَهُ تفصيلا، وإنما يكونُ ذلك مَوْقُوْفَا على السَّمْعِ، فَمَن سَمَّى الله أو وَصَفَهُ بغير دليلٍ صحيحٍ، فقد قال على الله بغيرِ عِلْمٍ وأساءَ الأدبَ مع رَبِّ العالمين سبحانه قال الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ومن قال بغير علم فقد أطاع الشيطانَ وعصى الرحمنَ قال الله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

قال السَفَّارِيْنِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته:

لَكِنَّهَا في الحَقِّ تَوْقِيْفِيَّه   لَنَا بِذَا أَدِلَّةٌ وَفِيَّه.

وقولُ شَيْخِ الإسلام: (أُمِرُّهَا حَقًّا) أي: أثبتها صِفَاتٍ حقيقيةٍ لله ﷻ، وهذا كقولِ السَّلَفِ عن الصِّفَاتِ: نُمِرُّهَا كما جَاءَت بلا كَيْف.

وقولُهُ: (الطِّرَازُ الأَوَّلُ) المرادُ به السَّلَفُ، و(الطِّرَازُ) فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ تستعملُ في الجَيِّدِ من كُلِّ شيءٍ، وفي معانٍ أُخْرَى، فالطِّرَازُ الأوَّل من هذه الأُمَّةِ هم خَيْرُهُم وَهُم السَّلَف.

وقولُهُ: (وأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إلى نُقَّالِهَا) أي: أُثْبِتُ الصِّفَاتِ لله حَقِيْقَةً كما جاءت بها الآياتُ والأحاديثُ الصحيحةُ، والعُهْدَةُ على النَّاقِلِينَ لها، وهم أَئِمَّةُ الإسلامِ الثقاتُ الذين يجبُ قَبُولُ ما حَدَّثُوا به عن رسول الله ﷺ فالنَّفْسُ تَطْمَئِنُّ إلى أخبارِهِم وتُصَدِّقُ أحاديثَهُم بخلافِ ما جاءنا من طريقِ الضُّعَفاءِ والكَذَّابينَ فلا نَقْبَلُهُ ولا نَبْنِي عليه الأحكام.

وقولُهُ: (وأَصُونُهَا عن كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ) أي: أَصُونُ الصِّفَاتِ وأَحْفَظُهَا عن أن أَخُوضَ في كيفياتها بالخَيَالاتِ العَقْلِيَّة؛ لأنَّ ذلك يُوْقِعُ في المحظور كما تقدم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قُبْحاً لِمَن نبَذَ القُرانَ وَرَاءَهُ وإذا اسْتَدَلَّ يَقُوْلُ قَالَ الأَخْطَلُ

الشرح: قوله: (قُبْحَا) دُعَاءٌ عليه بمعنى: أبعدهُ الله عن كُلِّ خَيرٍ، وهو من القُبْح بمعنى الإبعاد.

وقوله: (**الأَخْطَل**) هو أبو مالك غِيَاثُ بنُ غَوْثٍ التَّغْلِبي النَّصْرَانِي، والأخطلُ لَقَبُهُ، شاعِرٌ أُمَوِي، ، مات في خلافةِ الوليدِ بنِ عبد الملك سنة تسعين. الأعلام للزِّرِكْلِي (٥/ ١٢٣)

وفي هذا البيتِ يذمُّ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل البدع والضلال الذين أعرضوا عن الاحتجاجِ بالكتابِ والسنةِ، وذهبوا يحتجون بالأقوالِ الباطلةِ والحُجَجِ الدَّاحِضَةِ، ومنها استدلَالُهُم على تحريفِ صفاتِ الله سبحانه وتعالى بأبياتٍ للشاعرِ النصراني الأخطل!! **وَالـخَطَلُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْخَطَأُ فِي الْكَلَامِ**، فسبحانَ مَن أعمى بصائِرَهُم وخَتَمَ على قُلُوبِهِم فاستدلوا بقولِ النصارى!!

حُجَجٌ تَهَافَتُ كالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وكُلُّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمُؤْمِنُونَ يَرَونَ حَقّاً رَبَّهُمْ وإلى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

الشرح: ذكر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت أصلين عظيمين من أُصُولِ أهلِ السنةِ، وهما **الأصلُ السادسُ والسابعُ في المنظومة، وهما:**

الأولُ: إثباتُ رُؤْيَةِ المؤمنينَ لِرَبِّهِم جَلَّ وعَلَا في الآخرة.

والثاني: إثباتُ صِفَةِ النُّزُولِ لله جَلَّ وعَلَا حَقِيْقَةً.

فأما الأولُ وهو مسألة الرؤية، فعقيدةُ أهلِ السنة والجماعة هي: الإيمانُ بأنَّ المؤمنينَ يَرَونَ رَبَّهُم يومَ القِيامَةِ وفي الجَنَّةِ رُؤْيَةً حَقِيْقِيَّةً. والأدلةُ بذلكَ مُتَواتِرَةٌ منها:

قولُهُ تَعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] **وقوله تعالى:** ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وقد اسْتَدَلَّ بهذه الآيةِ مالكٌ والشَّافِعِيُّ وغيرُهُما على رؤيةِ الله استدلالا بمفهومِ المُخالَفَةِ، قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنس: لَمَّا حَجَبَ أَعْدَاءَهُ فَلَمْ يَرَوْهُ تَجَلَّى لِأَوْلِيَائِهِ حَتَّى رَأَوْهُ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّخْطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرِّضَا.

وذلك؛ لأنَّهُ لو حَجَبَ المؤمنين لم يكن بينهم وبين الكافرين فَرْقٌ في ذلك فدَلَّ حَجْبُ الكافرينَ على رُؤْيَةِ المؤمنين.

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] **وقال جل وعلا:** ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] **وقد روى مسلم في صحيحه (١٨١) عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:** «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]».

وأما قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: ٣٥] فألحقها العلماء في التفسير بها.

ومن أشهر الأدلة في ذلك: حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله البجلي رضي الله عنه، قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣).

وقد عَظَّمَ السَّلَفُ إنكارَ الرُّؤْيَةِ حتى قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من زعمَ أنَّ الله لا يُرى في الآخرةِ فهو كافر. وقال: مَن كَذَّبَ بالرؤيةِ فهو زِنْدِيْقٌ. وقال: مَن زَعَمَ أنَّ الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر بالله وكَذَّبَ بالقرآن وَرَدَّ على الله أَمْرَهُ، يستتاب، فإن تابَ وإلا قُتِلَ. الجامعُ لعلوم أحمد(٣/ ٣٨١) وانظر: لوامع الأنوار البهية(٢/ ٢٤٥-) معارج القبول (١/ ٣٤٠) فحُكْمُ مُنْكِرِ الرُّؤيَةِ الكُفْرُ إن كانَ بغيرِ تأويل، والضَّلَالُ إن كانَ بتَأْوِيل.

وقد أَلَّفَ جَمَاعَةٌ من أهلِ العلم في مسألة الرؤية، فمن ذلك رؤيةُ الله للدارقطني ولابنِ النَحَّاس والتَّصْدِيْقُ بالنَّظَرِ إلى الله للآجُرِّي وغيرها.

وأما صفةُ النُّزُولِ إلى السماءِ الدُّنيا فعقيدةُ أهل السنة: إثباتُها لله جل وعلا من غيرِ تَحْرِيفٍ ولا تعطيلٍ ومن غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ. والأدلةُ متواترةٌ على إثباتِ صفةِ النُّزُولِ لله جلَّ وعلا حقيقةً نُزُولًا يليقُ بالله سبحانه وتعالى.

ومن الأدلةِ على ذلك: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ

الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨). ورواه مسلم (٧٥٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وأحاديثُ النزولِ متواترةٌ كما نَصَّ على ذلك كثيرٌ من الأئمةِ منهم **الحافظُ أبو زرعة الرازي** كما ذكر القَارِي في شرحه للبخاري المسمى "عمدة القاري" (٧/ ١٩٩) ونَصَّ على ذلك **الحافظُ ابنُ عبد البَرِّ** في "التمهيد" (٧/ ١٢٨) **والحافظُ عبدُ الغني المقدسي** في "الاقتصاد في الاعتقاد" **وشيخُ الإسلام** في "شرحِ حديث النزول" **والذهبيُّ** في "العلو" **وابنُ القيم** في "تهذيب السنن" **والكتانيُّ** في "نظم المتناثر" **وذكر ابنُ القيم** في "الصواعق المرسلة" (١/ ٣٨٧) أنه ورد الحديث عن نحو ثلاثين صحابيا في إثبات هذه الصفة. وقد ذكرَ القَارِيُّ في شرحه للبخاري ثلاثةً وعشرين صحابيا مع ذكرِ طُرُقِهَا.

وقال الإمامُ عثمانُ بنُ سعيدٍ الدَّارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -عن حديثِ النُّزُولِ-: أَغْيَظُ حَدِيثٍ لِلْجَهْمِيَّة. النقض على المريسي. ت الشوامي (ص: ١٩٢)

وقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ: أَنَا أكفر بِرَبٍّ يَنْزِلُ، فَقُلْ: أَنَا أُومِنُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. أخرجه اللالكائيُّ(٧٧٥) والبخاريُّ في "خلق أفعال العباد" ص(٣٣) وغيرُهُم.

وسئل أَبُو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ نَصْر إمام الشافعية في عصره في العراق عَنْ حَدِيْث النُّزُول، فَقَالَ: النُّزُول مَعْقول، وَالكَيْفُ مَجْهُول، وَالإِيْمَان بِهِ وَاجب، وَالسُّؤَال عَنْهُ بِدْعَة. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٣/ ٥٤٧)

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأُقِرُّ بِالمِيْزَانِ والحَوْضِ الَّذِي أَرْجُوْ بَأَنِّي مِنْهُ رَيَّاً أَنْهَلُ

الشرح: ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيتِ أصلين عظيمين من أُصُولِ أهلِ السنةِ، وهما **الأصل الثامنُ والتاسعُ في المنظومةِ وهما:**

الأول: إثباتُ الميزان. والثاني: إثباتُ الحوض.

الأصل الثامن: إثبات الميزان وفيه مسائل:

الأولى: عقيدةُ أهلِ السنةِ في الميزان.

عقيدةُ أهلِ السنةِ في الميزانِ أَنَّهُ مِيْزَانٌ حَقِيْقِيٌّ له كِفَّتَانِ ولِسَانٌ تُوْزَنُ فِيْهِ أَعْمَالُ العِبَادِ.

والأدلةُ على إثباتِ الميزانِ متواترةٌ من القُرْآنِ والسنةِ وأَجْمَعَ على ذلك السَّلَفُ.

فمنها قولُهُ تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقولُهُ جل وعلا: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩] وقولُهُ سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٦ - ١١]

وحديثُ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» رواهُ مسلم (٢٢٣)

وحديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» رواهُ البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤)

وحديثُ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﵁، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ» أخرجهُ أحمدُ (٦٩٩٤) والترمذيُّ (٢٦٣٩) وابنُ ماجه (٤٣٠٠) وإسنادُهُ صحيح وقد صححه الألباني والوادعي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

وحديثُ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي

بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ» رواهُ أحمدُ (٣٩٩١) بإسنادٍ حَسَنٍ وقد حَسَّنَهُ الألبانيُّ والوادعيُّ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ رَحِمَهُٱللَّهُ: أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ وَيَمِيلُ بِالْأَعْمَالِ وَأَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ الْمِيزَانَ وَقَالُوا هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَدْلِ فَخَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.ا.هـ نقلهُ الحافظ رَحِمَهُٱللَّهُ في الفتح قبل حديث (٧٥٦٣)

ولم يَزَلْ أَهْلُ العلمِ يذكرونَ ذلكَ في كُتُبِ العقيدةِ مما أَجْمَعَ عليه أهلُ السُّنَّةِ. وانظر: لوامع الأنوار(٢/ ١٨٥)

والمرادُ بلِسَانِ الْمِيزَانِ: الْحَدِيدَةُ الَّتِي يَكْتَنِفُهَا الفِيارانِ، والفِيارُ: أَحد جَانِبَيْ حَائِطِ لِسَانِ الْمِيزَانِ. كما في "لِسَانَ العَرَب" وفي "المعجم الوسيط": لسانُ الْمِيزَان عُودٌ مِن الْمَعْدن يُثَبَّتُ عَمُودِيًا على أَوْسَطِ العَاتِقِ وتَتَحَرَّك مَعَهُ ويُسْتَدَلُّ مِنْهُ على توازن الكفتين.

المسألةُ الثانيةُ: ما الذي يُوْزَنُ في الميزانِ هل هي الأعمالُ أو الصَّحَائِفُ أو العَامِلُ؟

الجواب: اختلفَ أهلُ السُّنَّةِ في ذلكَ على أقوالٍ، والصَّحِيْحُ أنَّ كُلَّ ذلكَ قد يُوزنُ كما ثبتَ في الأدلةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وهذا القولُ هو ترجيحُ الحافظِ ابنِ

كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندَ قولِهِ تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[الأعراف: ٨]، والعَلَّامَةِ حَافِظٍ حَكَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معارجِ القَبُول (٢/ ٨٤٩).

وحقيقةُ الوَزنِ إنَّمَا هي للأعمالِ، فإنَّ الصحائفَ والعاملَ إذا وُزِنُوا فإنَّما يوزنونَ بقَدْرِ أعمالِهِم.

المسألةُ الثالثةُ: هل هو ميزانٌ واحدٌ أو متعددٌ؟

الجواب: اختلفَ أهلُ السنةِ في ذلك، والأقربُ أَنَّهُ ميزانٌ واحدٌ، وهو قولُ جمهورِ أهلِ السنةِ، وهو الغالبُ في الأدلة، وأما الجمعُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله ﷻ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨] وغيرها، فإنَّه على جِهَةِ التَّعْظِيمِ والتَّفْخِيْمِ، أو باعتبارِ تَعَدُّدِ الموزونات، وهذا القولُ هو ترجيحُ ابنِ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرِهِ وابنِ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الواسطية (٢/ ١٣٩).

وانظر: لوامع الأنوار(٢/ ١٨٦).

الأصلُ التاسعُ: إثباتُ الحَوْضِ. وفيه مسائل:

الأولى: عقيدةُ أهلِ السنةِ في الحَوْض.

عقيدةُ أهلِ السنةِ في الحوضِ أَنَّهُ: حَوْضٌ حَقِيْقِيٌّ يَشْرَبُ مِنْهُ المؤمنونَ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وأدلةُ الحوضِ متواترةٌ، **قَالَ ابْن الْقَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وَقَدْ رَوَى أَحَادِيثَ الْحَوْضِ أَرْبَعُونَ مِنْ الصَّحَابَة وَكَثِيرٌ مِنْهَا أوَ أَكْثَرُهَا فِي الصَّحِيح. تهذيبُ السُّنَن (٢/ ٤٢٦).وذكرَ الحافظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح (٦٥٧٥) ستةً وخمسينَ صحابيا. وانظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(٢٣٦).

ومنها : حديثُ «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْض» أخرجهُ البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ سهلِ بنِ سعدٍ، وأبي سعيدٍ، وابنِ مسعودٍ، وجُنْدُبٍ، وانفردَ مسلمٌ بإخراجِهِ من حديثِ أبي هريرة، وعقبةَ بنِ عامرٍ، وأمِّ سلمةَ، وجابرِ بنِ سَمُرةَ ﷺ وجاء عن غيرهم.

ومنها: حديثُ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا» رواه البخاري(٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢) واللفظ له.

وحديثُ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ

الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ» رواه مسلم (٢٣٠٠).

المسألةُ الثانيةُ: صفاتُ الحوضِ.

لهُ صِفَاتٌ كَثِيْرَةٌ منها: أَنَّهُ حَوْضٌ عظيمٌ، مَسِيْرَةُ شَهْرٍ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، يَشْخُبُ فيه ميزابانِ يُمِدَّانِهِ من الجنةِ من نَهْرِ الكَوْثَرِ، أحدُهُما من ذهبٍ، والآخرُ من فضةٍ، ماؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضَا من اللَّبَنِ والفِضَّةِ والثَّلْجِ، وأَبْرَدُ من الثَّلْجِ، وأَحْلَى من العَسَلِ، وأَطْيَبُ رِيْحًا من المِسْكِ، آنيتُهُ أكثرُ من عَدَدِ نُجُومِ السماءِ، من شَرِبَ منه شَرْبَةً لم يَظْمَأ بعدها أبدا.

وكُلُّ هذه الأوصافِ ثابتةٌ في الصحيحين أو أحدِهِما إلا «أبردُ من الثلج» وقد ثبتت في أحاديث صحيحةٍ كحديثِ حذيفةَ رضي الله عنه موقوفا وله حكمُ الرفع عند أحمدَ (٢٣٣٤٦) بإسنادٍ حسنٍ، ومِن حديثِ أبي برزةَ رضي الله عنه عند أحمد (١٩٨٠٤) بإسنادٍ حسنٍ وقد صَحَّحَ الحديثَ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المسألة الثالثة: هل لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ؟

الجواب: اختلفَ أهلُ العلمِ في ذلك، **والصحيحُ قولُ جمهورِ أهلِ السُّنَّةِ** أنَّ لِكُلِّ نبيٍّ حَوْضَا، وحوضُ نبينا ﷺ أعظمُهَا وأكثرُهَا واردا، ولهُ مميزاتٌ أخرى، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنَّهُ قال: « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا »[1] وقد **قال البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شَرْحِ السُّنَّةِ" -في ذكر ما يعتقدُهُ أهلُ السنةِ-**: والإيمانُ بحوضِ رسول الله ﷺ، ولِكُلِّ نَبِيٍّ حوضٌ، إلا صالحا النبيَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فإنَّ حوضَهُ ضَرْعُ نَاقَتِهِ.ا.هـ واستثناؤه صالحا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم أجد فيه دليلا ولا أثرا، والعمومُ المتقدمُ في الحديثِ يرد عليه والله أعلم.

---

(١)(**حسن بشواهده**) أخرجه الترمذي(٢٤٤٣) والطبراني (٦٨٨١) وابن أبي عاصم (٧٣٤) عن سَمُرَة، وفيه عدةُ عِلَلٍ، سعيدُ بنُ بَشِير ضعيفٌ لا سيما عن قتادةَ فإنَّهُ يروي عنه المنكرات، والحسنُ لم يسمع من سمرةَ إلا حديثَ العقيقة، ورجحَ الترمذيُّ فيه الإرسال، وقد أخرجَ المرسلَ ابنُ المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا كما في النهاية(١/ ٤١٢) لابن كثير بإسناد حسن.

وله شاهدٌ عن أبي سعيدٍ أخرجَهُ اللالكائي (٢١١٨) وأبو نعيم في تأريخ أصبهان (١/ ١٤٥) وأخرجه ابنُ أبي الدنيا في كتابِ الأهوال كما في النهاية(١/ ٤١١) لابن كثير وفيه عَطِيَّةُ العَوفي ضعيفٌ.

وله شاهدٌ آخرُ عند ابنِ أبي الدنيا كما في النهايةِ لابن كثير عن ابنِ عباس وفي إسنادِهِ محصن بن عقبة والزبير بن شبيب مجهولان. وله شواهد أخرى **فالحديث حسن بشواهده** قال ابن كثير في النهاية-بعد ذكر مرسل الحسن-: وَهَذَا مُرْسَلٌ عَنِ الْحَسَنِ، وَهُوَ حَسَنٌ، صَحَّحَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، وَغَيْرُهُ، وَقَدْ أَفْتَى شَيْخُنَا الْمزي بصحته من هذه الطرق.ا.هـ وحسنه الألباني في الصحيحة(١٥٨٩).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ فَمُوَحِّدٌ[١] نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ[٢]

الشرح: ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت أصلا آخر من أصول أهل السنة وهو **الأصل العاشر في المنظومة وهو: الإيمان بالصراط وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: عقيدة أهل السنة في الصراط.

عقيدةُ أهلِ السنةِ في الصراطِ هي الإيمانُ بأنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ وهو جِسْرٌ مَمْدُوْدٌ على ظَهْرِ جَهَنَّم.

والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ متواترةٌ، وأجمعَ عليه أهلُ السنة، **منها**: قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] قالَ عَبْدُ الله بنُ مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قَالَ: الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ، فَتَمُرُّ الطَّبَقَةُ الْأُولَى كَالْبَرْقِ، وَالثَّانِيَةُ كَالرِّيحِ، وَالثَّالِثَةُ كَأَجْوَدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعَةُ كَأَجْوَدِ الْبَهَائِمِ. ثُمَّ يَمُرُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ

(١) في نسخة: (فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ).

(٢) في نسخة: (وآخَرُ يُهْمَلُ).

يَقُولُونَ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. رواه ابنُ جرير بإسناد صحيح. وفي صحيح مسلم (١٩١) عن جابرﷺ أنه سئل عن الورود فذكر المرور على الصراط.

ومنها: حديثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال-في حديث طويل وفيه-: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ». رواهُ البخاريُّ (٧٤٣٩) ومسلمٌ (١٨٣).

المسألةُ الثانيةُ: صفاتُ الصِّرَاط.

له أوصافٌ كثيرةٌ منها: أنه دَحْضٌ مَزَلَّةٌ عليهِ خَطَاطِيْفُ وكَلَالِيْبُ يَمُرُّ عليه الناسُ بقَدْرِ أعمالِهم فمنهم مَن يَمُرُّ كالبَرْقِ ومنهم كطَرْفِ العَيْنِ وكالرِّيحِ وشَدَّ الرِّجَالِ ومنهم مَن يَمْشِي مَشْيًا ومنهم من يَزْحَفُ زَحْفًا وهو أَحَدُّ من السَّيْفِ ورُوِيَ أَنَّهُ أَدَقُّ مِن الشَّعَرِ[1].

(١) في صحيح مسلم (١٨٣) عن أبي سعيد ﷺ قال: (بلغني أن الجسرَ أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيف) وهذا يحتملُ أنَّ لهُ حكمَ الرفع، ويحتملُ أنَّهُ من الإسرائيليات، ولو كان من الإسرائيليات فلا بأس أن يُحَدَّث به، كما فعل هذا الصحابي الجليل، وكما أَذِنَ في ذلك رسول الله ﷺ وقد ثبت أَنَّهُ أَحَدُّ من =

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ وكَذَا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

الشرح: ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت أصلا عظيما من أصول أهل السنة وهو **الأصل الحادي عشر في المنظومة وهو: الإيمان بالجنة والنار**

وعقيدةُ أهلِ السنةِ في الجنَّةِ والنَّارِ الإيمانُ بأنَّهما حَقٌّ وأنَّهما مَوجُودَتَانِ الآن وأنَّهما لا تَفْنَيَانِ ولا تَبِيْدَانِ.

والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ متعددةٌ، منها: قولُهُ تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

=السيفِ فقد جاء ذلك عن ابنِ مسعودٍ موقوفا بإسناد صحيح أخرجه الطبراني (٨٩٩٢) والحاكم (٣٤٢٣) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٨) وروي مرفوعا أخرجه الطبراني(٩٧٦٣) والحاكم(٨٧٥١) وعبد الله بن أحمد في السنة(١٢٠٣) وغيرهم وإسنادُهُ صحيح فالظاهرُ ثبوتُهُ مرفوعا وموقوفا والله أعلم.

وله شاهدٌ عن سلمانَ موقوفا أخرجهُ ابنُ أبي شيبة في المصنف (٣٤١٩٥) والآجري في الشريعة(٨٩٤-) وأسدُ بنُ موسى في الزهد(٤٣) واللالكائيُّ (٢٢٠٨) وغيرهم وإسنادُهُ صحيحٌ وقد أخرجهُ الحاكمُ (٨٧٣٩) مرفوعا والمحفوظُ فيه الوقف.

وله شاهدٌ عن أبي هريرة عند ابن مَنِيْعٍ في مسنده كما في المطالب العالية (٤٥٤٥) ط.الشثري وفيه أبو مَعْشَر نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف.

وله شاهدٌ عن عائشةَ أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٧٩٣) وفيه ابنُ لهيعة ضعيفٌ مختلطٌ وفيه أيضا: «أدقُّ من الشعر». **فقوله: «أحد من السيف» صحيح.**

[البقرة: ٢٤]، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وحديثُ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ؟ قَالَ الله لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا» رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦).

وحديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» رواه مسلم (٢٨٤٤).

وحديثُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى

عَبْدُ الله، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»رواهُ البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨). وأحاديثُ الكُسُوفِ والإسراءِ والمعراجِ، وغيرُهَا كثيرٌ مما يَدُلُّ على وُجُودِهِمَا الآن وأنَّهُمَا حَقٌّ.

وأما الأدلةُ على أنَّهُمَا لا تَفْنَيَانِ ولا تَبِيْدَانِ ففي القرآنِ في ذكرِ الجنةِ والنارِ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في أربعين موضعا، **ومنها**: قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٦ - ٨]

وقال الله في الجَنَّةِ: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] وقال في النار: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] وحديثُ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا

الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ » قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩).

وقولُ النَّاظِمِ: (بِحِكْمَةٍ) إشارةٌ إلى أَصْلٍ عظيمٍ من أُصُولِ أهلِ السُّنَّةِ وهو الإيمانُ بأنَّ أَفْعَالَ الله كُلَّهَا لِحِكَمٍ عَظِيْمَةٍ فَمَنْ هَدَاهُ فَبِفَضْلِهِ ومَن عَذَّبَهُ فَبِعَدْلِهِ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] **قال الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته**: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا وَيُضِلُّ من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.ا.هـ

والأدلةُ على إثباتِ الحِكْمَةِ في أَفْعَالِ الله تَبْلُغُ الآلاف كما ذكرَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وِلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ ويُسْأَل

الشرح: ذكر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت أصلا عظيما من أصولِ أهلِ السنةِ، وهو **الأصلُ الثاني عشر في المنظومة**، وهو: **إثباتُ عَذَابِ القَبْرِ ونَعِيْمِهِ وفِتْنَتِهِ. وفيه مسائل:**

الأولى: عقيدةُ أهلِ السنةِ في عَذَابِ القَبْرِ ونَعِيْمِهِ.

عقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ الإيمانُ بأنَّ عَذَابَ القَبْرِ ونَعِيْمَهُ حَقٌّ، وأدلةُ ذلك متواترةٌ وأَجْمَعَ عليه أهلُ السُّنَّة.

ومن الأدلة على ذلك: قولُهُ تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]، وروى البخاريُّ (١٣٧٩) ومسلمٌ (٢٨٦٦) من حديثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يقال: هَذَا مَقْعَدُكَ، حَتَّى يَبْعَثَكَ الله إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي اسْتِدْلَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى عَذَابِ الْبَرْزَخِ فِي الْقُبُورِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾. ا.هـ

وقال ابنُ الجَوْزِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذه الآية تدلُّ على عذابِ القبرِ؛ لأنَّهُ بيَّن ما لهم في الآخرةِ، فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.ا.هـ

ومنها: قولُهُ تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] أي: سُنَعَذِّبُهُم عذابا في الدنيا بالقتلِ أو السَّبْيِ أو الجُوْعِ أو غيرِ ذلك، ثم عذابا في القبرِ، ثم يُرَدُّونَ الى عذابٍ عظيمٍ في الآخرة، كما في كُتُبِ التَّفَاسِيْر.

ومنها: ما في البخاري (٢١٨) ومسلم (٢٩٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»

وفي البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

وروى البخاري (١٣٧٢) ومسلم (٩٠٣) واللفظُ للبخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عليها فذكرت عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ الله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ حق» قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

وفي مسندِ أحمدَ (٤٥٤) وسننِ التِّرمذي (٢٣٠٨) عَنْ هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى، حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ،

فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ» إسنادُهُ حسنٌ وقد حَسَّنَهُ الألبانيُّ والوادعي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

ولقد كان رسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ من الاستعاذةِ من عذابِ القبرِ، ويأمُرُ أصحابَهُ بذلك، ويعلِّمُهُم ذلك، كما في أحاديثَ كثيرةٍ، وأَمَرَ المصلي أن يستعيذَ بالله من عذابِ القبرِ في آخِرِ تَشَهُّدِهِ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» رواه مسلم(٥٨٨)، وعلى ذلك جَرَى عَمَلُ المسلمين، **وقد أجمعَ الصحابةُ ومن بعدَهُم على إثباتِ عذابِ القبرِ**، وقد نقلَ الإجماعَ كثيرٌ من أهل العلم، منهم الإمامُ ابن قتيبة ت(٢٧٦) في "تأويل مختلف الحديث"، والإمامُ حربٌ الكَرمانيُّ ت(٢٨٠) في كتابه "المسائل"، والإمامُ أبو الحسن الأشعريُّ ت(٣٢٤) في "الإبانة عن أصول الديانة"، وشيخُ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" **وقال ابنُ القيم:** وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ مُقْتَضى السُّنةِ الصَّحِيحَة فَهُوَ مُتَّفق عَلَيْهِ بَين أهل السّنة قال

الإمامُ أحمدُ: عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا ضَالٌّ أَو مُضِلٌّ. ا.هـ الروح (١/ ٥١٦).

وكُلُّ مَن أَلَّفَ في العقيدةِ الصحيحةِ ذَكَرَ منها: الإيمانُ بأنَّ عذابَ القبر حَقٌّ.

وقال ابنُ المُلَقِّنِ في الإعلام بفوائدِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ -في شَرْحِ حديث ابن عباس (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ)-: فيه دلالةٌ على إثباتِ عذابِ القبرِ، وهو مذهبُ أهلِ السنةِ، وجُمهورِ المعتزلة، وهو ما يجبُ اعتقادُ حقيقتِهِ، وهو مما نَقَلَتْهُ الأمةُ مُتَواتِرًا فَمَن أَنْكَرَ عذابَ القبرِ أو نَعِيْمَهُ فهو كَافِرٌ؛ لأَنَّهُ كذَّبَ الله تعالى ورَسُولَهُ ﷺ في خبرهما. ا.هـ

فمنكرُ عذابِ القبرِ كافرٌ إن ردَّ الأدلةَ ولم يَكُن لهُ تأويل وإلا فهو ضال.

المسألة الثانية: هل العذابُ للرُّوحِ والبَدَنِ أو لِأَحَدِهِما؟

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنَّ الْمَيِّتَ إذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَلِبَدَنِهِ وَأَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مُنَعَّمَةً أَوْ مُعَذَّبَةً وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أَحْيَانًا فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ. ثُمَّ إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى أُعِيدَتْ الْأَرْوَاحُ إلَى أَجْسَادِهَا وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَمَعَادُ الْأَبْدَانِ

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهَذَا كُلُّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ ا.هـ مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤)

المسألةُ الثالثةُ: عقيدةُ أهلِ السنةِ في فِتْنَةِ القَبْرِ.

عقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ الإيمانُ بِفِتْنَةِ القَبْرِ وهي: سُؤَالُ الْمَلَكَيْنِ العَبدَ من رُبُّكَ ومَا دِيْنُكَ ومن نَبِيُّكَ، والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ، وأَجْمَعَ عليه أهلُ السنة.

ومن الأدلة على ذلك: ما رواهُ البخاري (٨٦) ومسلم (٩٠٥) عن أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قالت: قال النبي ﷺ: «وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا، ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ». وفي روايةٍ للبخاري (١٣٧٣): «قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا فَذَكَرَ فِتْنَةَ القَبْرِ الَّتِي يَفْتَتِنُ فِيهَا المَرْءُ، فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ الْمُسْلِمُونَ ضَجَّةً»

وبنحوه عند البخاري (١٣٣٨)(١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) عن أنسٍ، وفي روايةِ البخاري: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»

وفي حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا» **ثُمَّ ذكر حديثا طويلا وفيه:** «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِه» ثم قال في حق الكافر: «تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ

هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» رواه أحمدُ (١٨٥٣٤) وأبو داود (٤٧٥٣)وغيرهما بإسنادٍ صحيح وقد صححه الألباني والوادعي، وزاد في رواية أبي داود: «ثمّ يقيَّضُ له أعمى أبكَمُ معه مِرْزَبَّة من حديدٍ، لو ضُرِبَ بها جَبَلٌ لصار تراباً»، قال: «فيضرِبُه بها ضربةً يسمعُها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصيرُ تراباً، ثم تُعادُ فيه الرُّوحُ»

وقد جاء تسمية الملكين بـ(مُنْكَرٍ ونَكِيْرٍ)، ووصفُهُمَا بأَنَّهُمَا أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ عندَ الترمذي (١٠٧١) وابن حبان (٣١١٧) وابن أبي عاصم (٨٦٤) عن أبي هريرة ﷺ بإسنادٍ حسنٍ وقد حسنهُ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المسألة الرابعة: هل كل الناس يسألون في قبورهم؟

الفتنةُ في القبرِ عامةٌ لجميعِ الناسِ من المسلمينَ والكفارِ والمنافقينَ على الصحيحِ، ويُسْتَثْنَى من ذلك:

الأول: الأنبياءُ، لحديثِ عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ» أخرجه أحمدُ (٢٥٠٨٩) بإسنادٍ صحيحٍ وقد صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والثاني: الشهداءُ، لحديثِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً» أخرجه النسائي (٢٠٥٣) بإسنادٍ صحيحٍ وقد صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والثالث: المرابطون، لحديثِ سَلْمَانَ الفَارِسِي رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ» رواه مسلم (١٩١٣) وعند الترمذي وغيره: «وُقِيَ فتنةَ القبر».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ ومَالِكٍ وَأَبِي حَنِيْفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

الشرح: ذكر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ ما ذكرَهُ من العقيدة في هذه المنظومةِ هي عقيدةُ السلف، وأئمةُ الإسلام، وذكرَ أربعةً منهم هُم من أَشْهَرِ الأئمةِ، ولهم مَذَاهِبُ مَشْهُورَةٌ:

أولهم: **الإِمَامُ، فَقِيْهُ المِلَّةِ، عَالِمُ العِرَاقِ، أَبُو حَنِيْفَةَ النُّعْمَانُ بنُ ثَابِتِ بنِ زُوْطَى التَّيْمِيُّ، الكُوْفِيُّ** وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانِيْنَ، فِي حَيَاةِ صِغَارِ الصَّحَابَة.

قال الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قِيْلَ لِمَالِكٍ: هَلْ رَأَيْتَ أَبَا حَنِيْفَةَ؟

قَالَ: نَعَمْ، رَأَيْتُ رَجُلاً لَوْ كَلَّمَكَ فِي هَذِهِ السَّارِيَةِ أَنْ يَجْعَلَهَا ذَهباً، لَقَامَ بِحُجَّتِه.

وقال أَسَدُ بنُ عَمْرٍو: إنَّ أَبَا حَنِيْفَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صَلَّى العِشَاءَ وَالصُّبْحَ بِوُضُوْءِ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً.

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيْلُ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ يُسَمَّى الوَتدَ؛ لِكَثْرَةِ صَلاَتِه.

وقال رجلٌ لأَبِي حَنِيْفَةَ: اتَّقِ الله. فَانْتَفَضَ، وَاصفَرَّ، وَأَطرَقَ، وَقَالَ: جَزَاكَ الله خَيْراً، مَا أَحوجَ النَّاسَ كُلَّ وَقْتٍ إِلَى مَنْ يَقُوْلُ لَهُم مِثْلَ هَذَا.

وقام أبو حَنِيْفَةَ لَيْلَةً يُرَدِّدُ قَوْله تَعَالَى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القَمَرُ: ٤٦]، وَيَبْكِي، وَيَتَضَرَّعُ إِلَى الفَجْرِ.

وقال أبو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيْر: حُبُّ أَبِي حَنِيْفَةَ مِنَ السُّنَّةِ. وَقَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: أَبُو حَنِيْفَةَ أَفْقَهُ النَّاسِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: النَّاسُ فِي الفِقْهِ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيْفَةَ.

قال الذهبي: الإِمَامَةُ فِي الفِقْهِ وَدَقَائِقِه مُسَلَّمَةٌ إِلَى هَذَا الإِمَامِ، وَهَذَا أَمرٌ لاَ شَكَّ فِيْهِ.

وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

تُوُفِّيَ: شَهِيْداً، مَسْقِيّاً، فِي سَنَةِ خَمْسِيْنَ وَمائَةٍ على الصحيح، وَلَهُ سَبْعُوْنَ سَنَةً.

ثانيهم: شَيْخُ الإِسْلاَمِ، إِمَامُ دَارِ الهِجْرَةِ، أَبُو عَبْدِ الله مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أَبِي عَامِرٍ الأَصْبَحِيُّ، المَدَنِيُّ.

وُلِدَ عَلَى الأَصَحِّ: فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ وَتِسْعِيْنَ، عَامَ مَوْتِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُوْلِ الله ﷺ و تُوُفِّيَ سنةَ تِسْعٍ وسَبْعِيْنَ ومائة.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ – وَصَدَقَ وَبَرَّ –: إِذَا ذُكر العُلَمَاءُ فَمَالِكٌ النَّجْمُ.

وقال: مَالِكٌ مُعَلِّمِي، وَعَنْهُ أَخَذْتُ العِلْمَ.

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِه، وَيُتْرَكُ، إِلاَّ صَاحِبَ هَذَا القَبْرِ ﷺ.

وكَانَ الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِذَا ذَكَرَ مَالِكاً، يَقُوْلُ: عَالِمُ العُلَمَاءِ، وَمُفْتِي الحَرَمَيْنِ. وقال مالك: مَا أَفْتَيتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُوْنَ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ.

وقَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: كَانَ مَالِكٌ لاَ يُحَدِّثُ إِلاَّ وَهُوَ عَلَى طَهَارَةٍ؛ إِجْلاَلاً لِلْحَدِيْثِ. وقَالَ ابن وهب: قِيْلَ لِمَالِكٍ: مَا تَقُوْلُ فِي طَلَبِ العِلْمِ؟

قَالَ: حَسَنٌ، جَمِيْلٌ، لَكِنِ انْظُرِ الَّذِي يَلْزَمُكَ مِنْ حِيْنَ تُصبحُ إِلَى أَنْ تُمْسِيَ، فَالزَمْهُ. وقال الشَّافِعِيَّ: كَانَ مَالِكٌ إِذَا جَاءهُ بَعْضُ أَهْلِ الأَهوَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنِّيْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ دِيْنِي، وَأَمَّا أَنْتَ، فَشَاكٌّ، اذْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلِكَ، فَخَاصِمْهُ.

وقَالَ مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرٍ: كَانَ مَالِكٌ قَدْ ضُرِبَ بِالسِّيَاطِ. قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد أَمَرَ الأمير بِتَجرِيْدِه، وَضَرْبِهِ بِالسِّيَاطِ، وَجُبِذَتْ يَدُهُ حَتَّى انْخَلَعَتْ مِنْ كَتِفِهِ، وَارتُكِبَ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيْمٌ، فَوَالله مَا زَالَ مَالِكٌ بَعْدُ فِي رِفْعَةٍ وَعُلُوٍّ.

ثالثهم: مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيْسَ الإِمَامُ، عَالِمُ العَصْرِ، نَاصِرُ الحَدِيْثِ، فَقِيْهُ المِلَّةِ، أَبُو عَبْدِ الله القُرَشِيُّ، ثُمَّ المُطَّلِبِيُّ، الشَّافِعِيُّ ولد سنة مائة وخمسين وتوفي سنة أربع ومائتين.

قال الرَّبِيْعُ بنُ سُلَيْمَانَ: وُلِدَ الشَّافِعِيُّ يَوْمَ مَاتَ أَبُو حَنِيْفَةَ رَحِمَهُمَااللَّهُ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: لأَنْ يَلقَى الله العَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ إِلاَّ الشِّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَهوَاءِ.

وقَالَ يُوْنُسُ الصَّدَفِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، نَاظَرْتُهُ يَوْماً فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِيَنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوْسَى، أَلاَ يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُوْنَ إِخْوَاناً وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ.

وقال الشَّافِعِيُّ: طَلَبُ العِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ النَّافلَةِ.

وقال يُوْنُسُ، قُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ: صَاحِبُنَا اللَّيْثُ يَقُوْلُ: لَوْ رَأَيتَ صَاحِبَ هَوَىً يَمْشِي عَلَى المَاءِ، مَا قَبِلْتُهُ. قَالَ: قَصَّرَ لَوْ رَأَيْتَهُ يَمْشِي فِي الهَوَاءِ، لَمَا قَبِلْتُهُ.

وقال الرَّبِيْعُ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا العِلْمَ -يَعْنِي: كُتُبَهُ- عَلَى أَنْ لاَ يُنْسَبَ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ.

وقال الشَّافِعِيُّ: حُكْمِي فِي أَهْلِ الكَلاَمِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالجَرِيْدِ، وَيُحْمَلُوا عَلَى الإِبِلِ، وَيُطَافُ بِهِم فِي العَشَائِرِ، يُنَادَى عَلَيْهِم: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الكَلاَمِ.

وقال الشَّافِعِيُّ:- وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ -: تَأْخُذُ بِهَذَا الحَدِيْثِ يَا أَبَا عَبْدِ الله؟

فَقَالَ: مَتَى رَوَيْتُ عَنْ رَسُوْلِ الله حَدِيْثاً صَحِيْحاً وَلَمْ آخُذْ بِهِ، فَأُشْهِدُكُم أَنَّ عَقْلِي قَدْ ذَهَبَ.

وَقَالَ الحُمَيْدِيُّ: رَوَى الشَّافِعِيُّ يَوْماً حَدِيْثاً، فَقُلْتُ: أَتَأْخُذُ بِهِ؟

فَقَالَ: رَأَيتَنِي خَرَجْتُ مِنْ كَنِيْسَةٍ، أَوْ عَلَيَّ زِنَّارٌ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ عَنْ رَسُوْلِ الله ﷺ حَدِيْثاً لاَ أَقولُ بِهِ ؟!

وقال الشَّافِعِيُّ: مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً إِلاَّ مَرَّةً، فَأَدْخَلْتُ يَدِي فَتَقَيَّأْتُهَا لأَنَّ الشِّبَعَ يُثْقِلُ البَدَنَ، وَيُقَسِّي القَلْبَ، وَيُزِيلُ الفِطْنَةَ، وَيجلِبُ النَّوْمَ، وَيُضْعِفُ عَنِ العِبَادَة.

وقال عَبْدُ الله بنُ أَحْمَدَ، قُلْتُ لأَبِي:

أَيَّ رَجُلٍ كَانَ الشَّافِعِيُّ، فَإِنِّي سَمِعتُكَ تُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُ؟

قَالَ: يَا بُنِيَّ، كَانَ كَالشَّمْسِ لِلدُّنْيَا، وَكَالعَافِيَةِ لِلنَّاسِ، فَهَلْ لِهَذَيْنِ مِنْ خَلَفٍ، أَوْ مِنْهُمَا عِوَضٌ؟

رابعهم: هو الإِمَامُ حَقّاً، وَشَيْخُ الإِسْلاَمِ صِدْقاً، أَبُو عَبْدِ الله أَحْمَدُ بنُ محمد ابن حنبل.

قَالَ صَالِحٌ، قَالَ لِي أَبِي: وُلِدْتُ فِي رَبِيْعٍ الأَوَّلِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ وَمائَةٍ. وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين.

قَالَ عَبْدُ الله بنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلفَ أَلفِ حَدِيْثٍ.

فَقِيْلَ لَهُ: وَمَا يُدرِيكَ؟

قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الأَبْوَابَ. قال الذهبي: فَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيْحَةٌ فِي سَعَةِ عِلمِ أَبِي عَبْدِ الله، وَكَانُوا يَعُدُّوْنَ فِي ذَلِكَ المُكَرَّرَ، وَالأَثَرَ، وَفَتْوَى التَّابِعِيِّ، وَمَا فُسِّرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ وَإِلاَّ فَالمُتُوْنُ المَرفُوعَةُ القَوِيَّةُ لاَ تَبلُغُ عُشْرَ مِعشَارِ ذَلِكَ.

وقَالَ إِبْرَاهِيْمُ الحَرْبِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ الله، كَأَنَّ الله جَمَعَ لَهُ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ.

وقال ابْنُ المَدِيْنِيِّ: أَعَزَّ الله الدِّيْنَ بِالصِّدِّيْقِ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَبِأَحْمَدَ يَوْمِ المِحْنَةِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بنُ خَشْرَمٍ: سَمِعْتُ بِشْرَ بنَ الحَارِثِ يَقُوْلُ: أَنَا أُسأَلُ عَنْ أَحْمَدَ بنِ حَنبَلٍ؟! إِنَّ أَحْمَدَ أُدْخِلَ الكِيرَ، فَخَرَجَ ذَهباً أَحْمَرَ.

وقال أبو حاتم الرازي: إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يُحِبُّ أَحْمَدَ، فَاعْلَمْ أَنهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

وذكر أبو عُمَيْرٍ بنُ النَّحَاسِ الرَّمْلِيَّ، أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ:

رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ أَصْبَرَهُ! وَبَالمَاضِيْنَ مَا كَانَ أَشبَهَهُ!، وَبَالصَّالِحِيْنَ مَا كَانَ أَلْحَقَه! عُرِضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاهَا، وَالبِدَعُ فَنَفَاهَا.

وامتُحِنَ امتحانا عظيما في مسألةِ خَلْقِ القرآن، وصبرَ، وضُرِبَ بالسِّيَاطِ، وسُجِنَ، فصار إماما لأهل السنة، وحينَ تُوُفِّيَ صَلَّى عليه العَدَدُ الكَثِيْرُ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُوْلُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْمُتوَكِّلَ أَمَرَ أَنْ يُمسَحَ المَوْضِعُ الَّذِي وَقَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ حَيْثُ صُلِّيَ عَلَى أَحْمَدَ، فَبَلَغَ مَقَامَ أَلفَيْ أَلْفٍ وَخَمْسَةِ مائَةِ أَلْفٍ.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قُولُوا لأَهْلِ البِدَعِ: بَيْنَنَا وَبَيْنكُم يَوْمَ الجَنَائِزِ .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإنِ اتَّبَعْتَ سَبِيْلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ وإنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

الشرح: ختمَ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبياتَهُ بالحثِّ على اتِّبَاعِ سبيلِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، والتحذيرِ من البِدَعِ، وأَنْعِم بها من وَصِيَّةٍ، فإنَّ مَن سارَ بسيرِهِم نجا وأفلح، وفاز وظفر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥] وقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقَالَ عَبْدُ الله بنُ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»، وقال الإمامُ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ وَإِيَّاكَ وآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ الْقَوْلَ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ بِمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، واسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ.

وكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَن سَلَف   وكُلُّ شَرٍ في ابْتِدَاعِ من خَلَف

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (١/ ١٩٨): أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ بِاللهِ عَلَى أَنَّ الخِذْلَانَ: أَنْ يَكِلَكَ اللهُ إِلَى نَفْسِكَ، وَيُخَلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا، وَالتَّوْفِيقَ: أَنْ لَا يَكِلَكَ اللهُ إِلَى نَفْسِكَ.ا.هـ

وقوله: (فما عليكَ مُعَوَّلُ) مِن عَوَّلَ على الشيء تَعْوِيْلًا بمعنى اعْتَمَدَ فمعناه: لا يُعْتَمَدُ عليه ولا يُلْتَفَتُ إليهِ؛ لأَنَّهُ ابتدعَ في دين الله، ولم يَسِر بِنَهْجِ السَّلَفِ، وقد أجمعَ السَّلفُ على وُجُوبِ البُعد عن المبتدعةِ ومجَالِسِهم وهَجْرِهِم والتَّحْذِيْرِ منهم صِيَانَةً للدينِ وقَمْعًا للمُبْطِلِين.

وبهذا ولله الحمد يَتِمُّ مَا أَرَدْنَا من التَّعْلِيْقِ على هذه اللَّامِيَّةِ، أسألُ الله جَلَّ وعَلَا بأسمائِهِ الحُسْنَى وصِفَاتِهِ العُلَى أن يَجْعَلَ هذا الشَّرْحَ خَالِصًا لوجهه وأن ينفعَ به الإسلامَ والمسلمين، والحمدُ لله رَبِّ العالمين.

سُبْحَانَكَ اللهم وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا أنتَ أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ

كَتَبَهُ: أبو عبد الرحمن عَمْرو بنُ مُحَمَّدٍ الفَضْلِي غَفَرَ الله لهُ ولوالدِيْهِ ولمَشَايِخِهِ وللمسلمين، وكان الانتهاءُ ليلةَ الخَامِسَ عَشَرَ من شَهْرِ شَعْبَان لعامِ أَلْفٍ وأربعمائةٍ واثنين وأربعين ولله الحمد والمنة.

فهرس المحتويات